خطة الحركة الوطنية في مواجهة الحرب الأهلية اللبنانية

الحلقة الثانية

الطابع الطبقي للحرب الأهلية اللبنانية

بقلم : أبو عدنان

تتابع « الهدف » نشر موضوع دراسة « خطة الحركة الوطنية في مواجهة الحرب الاهلية اللبنانية » ، بعد ان حالت كثافه مواد العدد الماضي دون ذلك .

ان الحروب بما فيها الحرب الاهليه ، تتسم بطابع طبقي . وان اغفال هذا الموضوع او تجاهله ، يفسح المجال امام التزييف ، فصلا عن الغموض والابهام ، لذلك أهتمت الحلقة الاولى التي نشرت في العدد (٣٧٤) ، بتحديد طابع الحرب والحرب الاهلية الطبقي ، مما وفر للقراء الذين يتابعون حلقات هذه الدراسة ، مقياسا علميا يساعدهم على فهم طابع الحرب اللبنانيه ويمكنهم من التمييز بين الحقيقةونقيضها.

ان تحديد طابع الحرب الاهلية اللبنانية ، موضوع تختلف حوله وجهات النظر ، حتى ضمن معسكر القوى الوطنية والتقدمية نفسها ، اذ هناك من يغلب دور العوامل الخارجية على دور العوامل الداخليه ، بالنسبه لتفجير الصراع في لبنان وصيرورته حربا اهلية ، بل وهناك من يغالى في الادعاء لدرجة ينكر معها أي دور للعوامل الداخلية ، ويطمس بذلك دور الجماهير الكادحه بما فيها الجماهير الفلسطينيةالقاطنة في لبنان ، لذا فان البحث المفصل في تحديد المقدسات السياسيه والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية ، والعوامل الطبقية والوطنيه ، التي لعبت دورها في تفجير الصراع وتحويله الى حرب أهلية ، أمر بات يكتسب اهمية خاصة .

في هذه الحلقة ، تبدأ الدراسة في تفنيد ادعاء الفاشيين وانكارهم لطابع الحرب الدائرة على ارض الساحة اللبنانية منذ السادس والعشرين من شباط ١٩٧٥ حتى الان.

« الهدف »

الحرب التي تدور رحاها على ارض الساحة اللبنانية منذ ما يزيد على سنة ونصف السنة ، هل هي حرب اهلية ؟

كل الاحزاب والمنظمات والعناصر ، التي تعكس بشكل او باخر ، وتعبر من قريب او بعيد عن الطرف الوطني في التناقض الرئيسي الذي يحكم المجتمع اللبناني والذي ترتبط وتتأثر به كل التناقضات الثانوية الاخرى ... كل هؤلاء يجمعون على الاجابة بـ « نعم » ، ويؤكدون على ان الحرب هي حرب اهلية بين الوطنيين والرجعيين عامة والفاشيين منهم خاصة . وبما ان رأينا جزء من هذا الرأي الوطني العلمي الصائب ، وسندافع عنه بطبيعة الحال ، فاننا سنخوض في تفاصيل موقف القوى والعناصر الرجعية ورأيها ، بغية ابراز التناقضات في رؤيتها لطبيعة الحرب ، بشكل يدعم وجهة النظر الوطنية العلمية . فما هو جواب القوى الرجعية بما فيها الفاشية على سؤالنا الانف الذكر ؟

تصر القوى الرجعية عامة والفاشية منها خاصة ، على ان الحرب في لبنان ليست حربا اهلية ، اي انها ليست حربا لبنانية ناجمة عن تفجر المتناقضات والمتضادات المتصارعة في لبنان ، وانما هي حرب بين اللبنانيين وبين الفلسطينيين المدعومين من قبل اليسار « المخرب » و « الرجعية » الشيوعية !

ان نفي طابع الحرب اللبنانية ومضمونها الطبقي ، يكاد يتردد في الفترة الاخيرة ، على لسان اقطاب جبهة الكفور يوميا ، اذ نادرا ما خلت الصحافة اليومية من تصريح لهذا القطب او ذاك ينفي فيه كون الازمة والحرب الناجمة عنها لبنانية ، لدرجة يصبح معها احصاء او جمع كل ما تفوهوا به بشأن هذا الموضوع مضيعة لوقت القارىء فضلا عن انه تكرار لا معنى له . لذا فاننا سنكتفي باقتطاف بعض العبارات مما قيل حول نفي كون الحرب اللبنانية حربا اهلية .

■■ « ازمتنا ليست لبنانية »

تحت هذا العنوان نشرت جريدة النهار تصريحا لرئيس حزب الكتائب اللبنانية الشيخ بيار الجميل رد فيه على القائلين « ان الازمة هي لبنانية » : (بانه ادعاء بات يتجاوز حد الوقاحة والعمى . فلو ان ازمتنا لبنانية لما كنا في حاجة الى مساعدة احد لحلها ، ويكفي ان يكون هناك ٦٠٠ الف فلسطيني تساندهم قوات خارجية لنعرف ان ازمتنا ليست لبنانية . انها فلسطيني تساندهم قوات خارجية لنعرف ان ازمتنا ليست لبنانية . انها مزاعم من نوع تغطية السموات بالقبوات . فالاف الفلسطينيين يشتركون في القتال الذي اشتعلوه مع اليسار المخرب على ارض لبنان ، في حين ان منظمة التحرير الفلسطينية معترف بها على صعيدي الجامعة والامم المتحدة ، كهيئة فلسطينية خارجية بالطبع او بمثابة دولة . فلا يصح اعتبار حرب اللبنانيين والفلسطينيين الغرباء حربا لبنانية كما يزعم الزاعمون .) (٣٣)

ويكرر الشيخ بيار الجميل ادعاءه هذا مؤكدا على (ان الصراع ليس مع شعب يكافح من اجل استرداد وطنه ، بل مع فلسطينيين يجيرون قضيتهم ورصيدهم للرجعية العربية او يتوهمون ان الطريق الى القدس يمر في بيروت او في عينطورة والمتين كما يقولون . لا ريب اننا امام خطة واسعة لاغراض والاهداف ترمي الى الاستيلاء على بلدان المنطقة من خلال قلب نظمة الحكم فيها او الاستيلاء عليها . وما يحدث في الكويت الان ليس الا حلقة من سلسلة ، وهو تكرار لما يحدث في بلادنا .) (٣٤)

اما شربل قسيس فيدعي :

(ان الرأي العام الاوروبي عموما بدأ يتفهم حقيقة الوضع اللبناني ويخرج من كابوس الارهاب الفكري ويعرف معركة لبنان على حقيقتها ، وهي معركة بين قوم يريدون ان يكونوا في بلدهم اسيادا احرارا ، وقوم فقدوا وطنهم وأرادوا ان يجعلوا من لبنان وطنا بديلا لهم .) (٣٥)

ويكمل هذا الادعاء رجل من رجال الدين المسيحي البارزين ، اعني مكسيموس الخامس حكيم بطريرك الروم الكاثوليك ، حين صرح لصحيفة « الموند » الفرنسية : (ان الحرب في لبنان ليست حربا دينية او حربا اهلية ، وانما تمثل اساسا حربا بين اللبنانيين وغير اللبنانيين .) (٣٦)

ان هذا الادعاء يتكرر بتركيز خاصة في الفترة الاخيرة لدرجة يستشف منها ان الفاشيين يعتبرون ادعاءهم هذا ذريعة من اقوى ذرائعهم التي يبررون بها جرائمهم بحق الشعبين اللبناني والفلسطيني . ومن يطالع رسالة (٣٧) فرنجية التي اذاعها بمناسبة الذكرى السادسة لتنصيبه رئيسا للجمهورية ، ورسالته الوداعية التي بثتها اذاعة عمشيت في ٩٧٦/٩/١٩ ، ورسالة شمعون الى مؤتمر كولومبو المعنونة : « لبنان ضحية مؤامرة شنيعة والثورة الفلسطينية هي منفذتها » (٣٨) ... من يطالع هذه الرسائل يتأكد من مدى تعويلهم على هذا الادعاء - الذريعة ، بتدعيم موقفهم وتبرير جرائمهم .

■■ وشهد شاهد من اهلها

سنقف امام هذه الافتراءات ، وقفة تستهدف تفنيدها ودحضها . ولن نبدأ بمناقشة نظرية حول ازمة النظام المستفحلة ، او حول الفلسطينيين الموجودين في لبنان منذ ما يقرب من ثلاثين سنة ، وفيما اذا كان يتحتم عليهم المشاركة في الحرب دفاعا عن انفسهم ووجودهم وثورتهم ، ام لا ؟ وفيما اذا كانت مشاركتهم في الحرب تغير طابع الحرب الاهلية الطبقي ؟... لن نبدأ بمناقشة من هذا النوع ، لاننا سنعود لهذه الموضوعات فيما بعد ، اما الان فدعونا نتفق على ان الكذب دليل الافلاس والسعي مع سبق الاصرار الى اخفاء الحقيقة . وان الكاذب مجرم مدان باغتيال الحقيقة ، وهو اذ يختبىء وراء الزيف والبهتان فلكي يهرب من مواجهة الحقيقة . وان اثبات زيف ادعاء اقطاب جبهة الكفور . بأن الحرب الاهلية اللبنانية ليست حربا اهلية يجعلهم مدانين بجريمة جديدة هي جريمة اغتيال الحقيقة . ولكي نستطيع ان نقول من « فمك ادينك يا مدعية » ، فاننا سنستنطق كبار رجالات اهل النظام . بما فيهم هؤلاء الزاعمين بأن الحرب التي اعدوا لها العدة والميليشيات التي اصبحت جيوشا نظامية تمتلك كل انواع الاسلحة بما فيها طائرات الهيلوكوبتر ، ليست حربا اهلية ... سنستنطقهم لكي نرى فيما اذا كان بوسعهم الثبات على ادعائهم هذا وعدم التناقض معه ، ام انهم سيتلعثمون وتحتبس ألسنتهم من فرط التناقض الذي يدورون في دوامته ، بحثا عن ذريعة او فرية يبررون بها جرائمهم التي فاقت كل حد وتقدير . انهم يتمنطقون بترهات يرتجلونها للتهرب من الاعتراف بالحقيقة ، وما ان يحرجوا من جراء وقوعهم بتناقض جديد ، حتى يعودوا لنقض مزاعمهم السابقة . سنستجوب عددا من رجالات النظام ، لنرى فيما اذا كان ادعاء سليمان فرنجية بـ « ان هذا الجاري على ارض لبنان هو حرب عدوانية شرسة يشنها الفلسطينيون واعوانهم عليه ، وليست حربا اهلية بين اللبنانيين واللبنانيين » (٣٩) ... لنرى فيما اذا كان هذا الادعاء صحيحا ام انه تزييف للحقيقة وهروب من مواجهة ازمة النظام المتفاقمة ؟

تعال ايها القارىء الكريم ، لنقوم سوية بمهمة نتجشم خلالها عناء استجواب رجالات النظام الرجعيين بما فيهم بعض اقطاب جبهة الكفور انفسهم ، لكي نرى فيما اذا كانت الحرب التي اشعلها الفاشيون والتي دمرت لبنان وخربت معالمه ، هي حرب اهلية ام لا ؟ :

■ اولا الشيخ بيار الجميل :

لنبدأ باستجواب رئيس حزب الكتائب اللبنانية الشيخ بيار الجميل نفسه ، لكي يكون اول شاهد على بطلان ادعائه هو :

١ - يقول الجميل : (يكفي ان يكون ٦٠٠ الف فلسطيني تساندهم قوات خارجية لنعرف ان ازمتنا ليست لبنانية) .

فاذا علمنا بأن هذا الشيخ نفسه ، قد سبق له وحدد عدد الفلسطينيين الموجودين في لبنان بـ ٥٠٠ الف (٤٠) ، واذا علمنا بأنه اطلق هذا الكلام قبيل دخول القوات السورية واحتلالها للشمال والبقاع بأيام قلائل ، وان هذه القوات قد اغلقت الحدود ومنعت دخول الفلسطينيين ... اذا علمنا بهذه الحقائق كلها فاننا سنتأكد من ان هذا الشيخ يغالط نفسه ، اذ بين اواخر ايار واواخر تموز ، لا يمكن ان يزيد عدد الفلسطينيين على مئة الف نسمة بحكم اغلاق الحدود . قد تبدو هذه المغالطة صغيرة يمكن تبريرها بفقدان الذاكرة ، ولكن الامر ليس كذلك ، فأول الغيث قطر ثم ينهمر ! فها هو الشيخ بيار الجميل يعترف قائلا : « ان اغلبية المقاومة تريد التفاهم معنا ، ولكن هناك فئة تحاول اخلافنا ... » (٤١)

واذن ، فان ادعاءه بأنه يقاتل الـ ٦٠٠ الف فلسطيني في لبنان ليس صحيحا ، لان اقلية المقاومة الفلسطينية لا تمثل كل الفلسطينيين .

٢ - وصرح الشيخ الجميل في مقابلة صحفية مع وكالة « رويتر » : انه « سيوافق على دخول قوة حفظ سلام دولية او تابعة للجامعة العربية الى لبنان ، اذا وافقت جميع الاطراف في الحرب الاهلية على ذلك . » (٤٢)

لاحظ كيف كان الشيخ يعترف آنذاك بكون الحرب اهلية اما اليوم وبعد دخول القوات السورية ، فانه ينكر هذه الحقيقة التي كان يعترف بها .

٣ - وفي معرض تبريره لعقد اتفاقية القاهرة ، يقول الشيخ بيار الجميل انها عقدت « لانقاء شر الحرب الاهلية في البلاد . » (٤٣)

ان النظام الذي كان يعيش على شفير حرب اهلية منذ اكثر من ست سنوات ، لدرجة اضطر معها اهله لعقد اتفاقية لكي يتقوا شرها ، هو النظام نفسه الذي انهار تحت وطأة تفاقم ازمته القاتلة ، وما الحرب الاهلية القائمة الا مظهر من مظاهر بلوغ الصراعات الطبقية الرئيسية والثانوية درجة تفاقمها . ولكن هذا الشيخ الذي يدعي بأنهم عقدوا اتفاقية القاهرة لكي يتقوا شر حرب اهلية ، يكشف اوراقه كلها باعترافه التالي :

٤ - « انني اقول صراحة ان الازمة لم تعد ازمة فدائيين ، ولا ازمة